لوحات تسرد الجمال الإنساني الكامن في كردستان

تشكيليون كرد يلوّنون فضاءات السليمانية طاردين عنها حزنها

أن يلتقي تشكيليون كرد في مدينة السليمانية العراقية ليدوّنوا بألوانهم لوحة مهمة من التجريب، لوحة حافلة بالحصاد الوفير، فذاك يُضفي دون شك على الحضور حضورا، وعلى التجريب تجريبا، وعلى التفرّد تفرّدا. وهو ما تجلّى بوضوح ضمن فعالية سيمبوزيوم السليمانية الثالث الذي شارك فيه ثمانية عشر فنانا وفنانة من كرد سوريا والعراق.

غريب ملا زلال
كاتب سوري

إذا كان متحف الأمن الأحمر الوطني في مدينة السليمانية العراقية، والذي يديره الفنان التشكيلي آكو غريب، المكان الشاهد على عصر التعذيب بكل الوسائل التي يمكن للعقل أن يتصوّرها، والتي لا يمكن أن يتصوّرها، ولزمن ما زالت رائحته تقتل الروح، بات اليوم مكانا حاضنا لستة وثلاثين عملا فنيا هي نتاج فعالية سيمبوزيوم السليمانية الثالث الذي شارك فيه ثمانية عشر فنانا وفنانة من كرد سوريا والعراق، فهذا يعدّ بحق حدثا استثنائيا بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

فنانون كرد قدموا من دول اللجوء والاغتراب القسري، من ألمانيا والدنمارك والسويد وبلجيكا ومن الداخل السوري ومن داخل كردستان العراق ليعزفوا معا سيمفونية اللون والحب، ويشكّلوا معا مجموعة مثقلة بالحماس لإحياء الجمال الكامن في الإنسان وفي كردستان، لتخفيف الوجع عنه ورسم ملامحه بالشكل الذي يسمح لهم بإطلاقه كمعالم لمفهوم جديد ينشده الإنسان أينما كان.الجميع كان يهفو لتفتيت الحزن بعد إدراك مقدرته الهائلة لمرافقة الكردي أينما حلّ بترحاله واغترابه، فالغلبة هنا له والأمر ظاهر في مجمل المنجز الذي تم والذي قدّم.

أقول، إذا كان متحف الأمن الأحمر الوطني هو المكان الذي فيه سيقول الفنانون المشاركون كلمتهم، فهذا وحده كاف لإبراز أهمية الرسائل الكثيرة التي أطلقها هؤلاء الفنانين، وهم يستعدّون لرسم فضاءات السليمانية بألوان "حفت رنك" (7 ألوان) ذات الاسم للجهة التي قامت بتنظيم هذه الفعالية التي امتدت في حيّز كل ما فيه يشكّل رفض المستحيلات وما تحمله من قناعات لا تكفّ عن الحضور في زمن ما قد نعيش بعضه إلى الآن.

أن تلتقي الأجنحة في جسد يمضي عميقا في المكان وبخيارات كثيرة هو سعي جميل للتحليق بتشكيلة واسعة من التجارب والخبرات التي لا تكفّ عن التشبّث بمنظومة قيم معرفية جمالية مولعة بالزمان والمكان، بقدر تشبّثها بكافة السبل الباحثة عن اللامألوف، فالفن بوصفه تردّدات جمالية للطيّب القائم في الأشياء متشظيا في الروح وكأنها مغازلات تحطّم القبح الكامن فيه، مهما كان محكما بثقله سيتكلّم بلغة تنبثق منها مجمل الحركات القادرة على إغراء متلقيها بكل مسكها مهما كان التناقض متناغما فيها.

أن يلتقي تشكيليون كرد سوريون وكرد عراقيون في مدينة السليمانية عاصمة الجمال والفن والثقافة في كردستان، لإقامة حلقات اتصال بين تجارب لكل منها وضعها الخاص في حضرة مآزقها، لكل منها بوصلتها في السير نحو الاستكشافات في حالة يقودها الفنان حينا، وتقوده هذه الحالة حينا آخر حتى يُعيدا معا تلك التصوّرات التي تنتقل بعملياتها من رؤيا إلى رؤية أو العكس، لا كمعالجة أولية لأفكار قد تستغرق في الفضاءات بتجسيد حسي وحدسي، بل كبحث أولي نحو تفجير الطاقة الإيحائية للون على سطوح تساهم بدورها في إثارة تفاصيلها إن كان من خلال تبني رؤية خاصة أو من خلال تفعيل التغيير في السبل التي سيتوجب بالضرورة السير فيها نحو ترسيخ في بنيتها وما يحيط بها من مظاهر حياتية، لإقامة جسور بين الرؤى المختلفة ولتجاوز التأثيرات التي قد تمزّق بين الداخل والداخل، وبين الداخل والخارج، فيمكن للإشارات والرموز حينها أن ترسل بين طياتها الكثير من التفسيرات التي لا نهاية لها.

إن الرغبة في طرح أسئلة وإجابات تمتدّ بجذورها في البنية العميقة للثقافة الكردية، لا كمآزق محتملة لخطاب حزين وكل انكساراته توحي بالجدل الذي يكون على أشدّه في العلاقات التي تفرض اشتباكاتها في كشف الحال، والبحث عن مجرى مُغاير تمثل لحظة الاندساس بين الأنساق الكامنة في قيم تمضي في الظلام، لا كمآزق بل كشروع في إنجاز ما لا يتيه في حضرة التحوّلات الكثيرة، كشروع في الافتتاح على دروب يسعى كل مبدع لارتيادها.

حقا عاش المشاركون أياما لن تنسى، فبين الثالث وحتى العاشر من سبتمبر الجاري، كانت شوارع السليمانية تتزيّن بهم، فجميعهم كانوا زاخرين بالحركة ويتدّفقون كدلالات عذبة وفي حدودها القصوى معبّرين عن هذه التظاهرة الفنية، عن تصوّراتهم الذي سينتظم في رؤى طافحة بالمعاني والإيحاءات، فما نفّذوه سيفضي بهم من جمال إلى جمال، ومن معنى إلى معنى، بل من لحظة ملتقطة إلى لحظة هاربة.

فالجميع يفطن بأن الفضاء الذي يتحرّكون في رحابه لا بد أن يكون هو الآخر مزركشا بهم وشاهدا بأن بعض الجميلين مرّوا من هناك، وهم: محمد أمين عبدو وغفور حسين ومحمود حسو ورحيمو وزهير حسيب وفرهاد خليل وجيهان إبراهيم وحكمت داود وملك مختار وحنيف حمو من كرد سوريا، في حين شارك من كردستان العراق كل من كاروان كابان وستار علي وريبوار سعيد وماهر ستار وجيمن إسماعيل وأودير عصمان وطيب بابان وناز علا.

رؤى جمالية طافحة بالمعاني والإيحاءات

عزف جماعي على سيمفونية اللون والحب

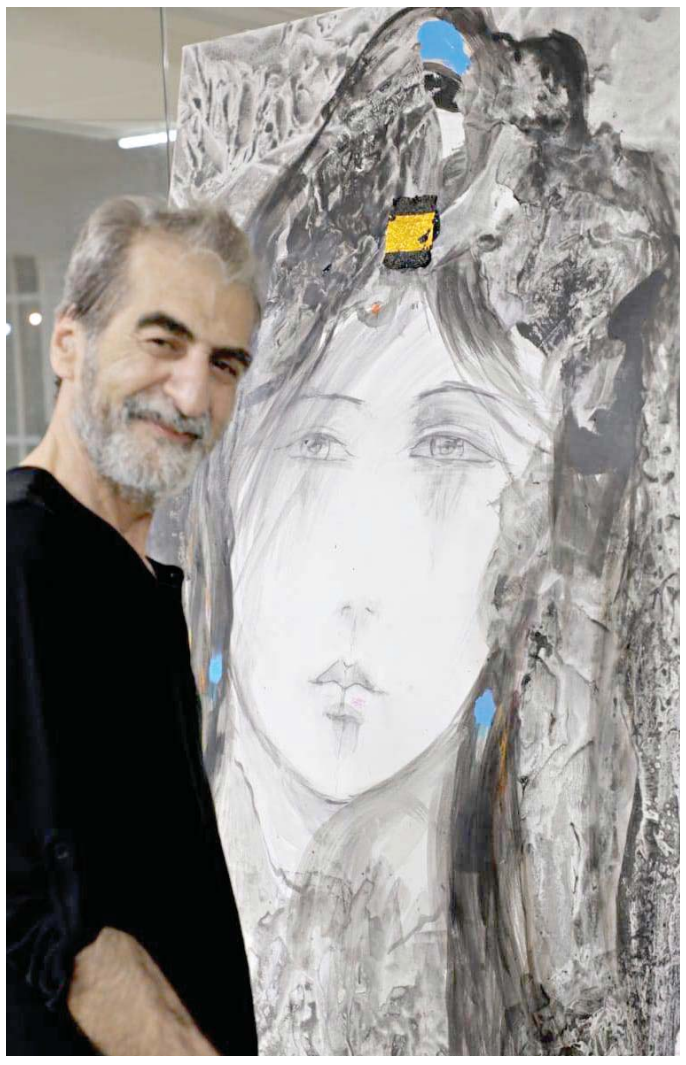

شغف بالمكان والإنسان يستحيل لوحات مبهرة

المشاركون في سيمبوزيوم السليمانية سعوا لتفتيت الحزن الكامن في المكان عبر سيمفونية ألوان مشعة

> ما نفّذه الفنانون من لوحات أفضى بهم من جمال إلى جمال، ومن معنى إلى معنى، بل من لحظة ملتقطة إلى لحظة هاربة

سوريا تستذكر مناخات وحيد مغاربة الشامية في معرض استعادي

حلب (سوريا) – يتواصل حتى نهاية شهر سبتمبر الجاري في صالة الأسد للفنون الجميلة بمدينة حلب السورية، معرض استعادي للفنان الراحل وحيد مغاربة (1942 – 2018)، ضم اثنتي عشرة لوحة فنية تختصر مسيرته التشكيلية التي امتدت لأكثر من نصف قرن.

وعن المعرض قال جابر الساجور مدير الثقافة بحلب "اللوحات المعروضة هي من مقتنيات جمعية أصدقاء الفنان فتحي محمد للفنون التشكيلية، والتي تعود كلها للفنان مغاربة، وقد تمّ عرضها بهدف إطلاع الجيل الجديد على هذه الأعمال، تأكيدا على عالمية الراحل باعتباره قدوة لهؤلاء الشباب لمتابعة مسيرة أعماله كونه من الأساتذة الكبار في مجال التشكيل".

وأشارت نوران جبقجي رئيس فرع حلب لاتحاد الفنانين التشكيليين إلى أن المعرض حفل بالقيم الفنية للفنان الحلبي الراحل، الذي احتوى رصيده على الكثير من المعارض واللوحات التي ضمّت البيئة الشرقية والحياتية التي كان يعيشها أهل حلب في الماضي بتفاصيلها البسيطة، من بائع الأقمشة إلى بائع الفخار وجميع الظروف البيئية المحيطة، إضافة إلى احتوائها على المنظور المعماري والفن الزخرفي وفن الأيقونات.

وأكّد أحمد كسار رئيس مجلس إدارة جمعية أصدقاء فتحي محمد للفنون التشكيلية، أن التظاهرة تأتي تكريما للفنان الراحل مغاربة من خلال عرض مجموعة من أعماله التي تم جمعها منذ عام 2014 حتى عام 2018.

وأشاد الفنان التشكيلي السوري أيمن الأفندي بأهمية هذه الفعاليات التي تضيء على جمالية وإبداعات الفنانين، ولاسيما الفنان مغاربة لكون أهل حلب متعطشين لمثل هذه النشاطات التي تخلّد الحركة التشكيلية بالمدينة السورية وروّادها.

ونهلت تجربة الفنان التشكيلي وحيد مغاربة المولود في العام 1942 بمدينة حلب من معين التراث نحو عوالم الحداثة، مستمدا موضوع لوحاته من الأسواق الشعبية وملامح العمارة الشامية وتراث مصوّري المنمنمات.

وهو الذي حمل على امتداد ستة عقود من العمل الاحترافي علوم الشرق إلى الغرب ومزج بين ألوانها وأنتج ألوانا صافية وممتعة، وتقاربت أفكاره من التيارات التي نشأ بها واندمج في ما بعد ضمن أكاديمية روما للفنون الجميلة التي كانت مركزا لكل أنواع التطوّر الفني.

وفي العاصمة الإيطالية درس الراحل الفن التشكيلي دراسة خاصة ليحصل عام 1978 على إجازة في التصوير من أكاديمية روما، مكوّنا تجربة فنية استطاع أن يجمع فيها بين براعة التكوين وروعة التلوين إلى جانب الأصالة المستمدة من الموروث السوري.

وسمات الأصالة المتجلية في التصوير العربي التي حملها مغاربة استخدم فيها أسلوبا معاصرا موازيا للغة التشكيلية العالمية، فأقام أكثر من عشرين معرضا فرديا في سوريا ولبنان وإيطاليا، إضافة إلى مشاركاته في العشرات من المعارض الجماعية داخل سوريا وخارجها منذ العام 1961 وحتى رحيله في السابع عشر من ديسمبر 2018.

وأعمال الراحل تخرج من نفسه ومن ألوانه ليلاحظ عاشق الفن التشكيلي أن المقدّس عنده ما يمسّ الحالة الشعبية، والحالة الفطرية لديه كل ما هو حضاري لتتراكم بذلك أيقوناته وتشكل كلا واحدا في تكوين يرتقي بالحالة التشكيلية إلى تمجيد الحياة والتطلع نحو الأفضل.

ولعبت البيئة الشعبية في مدينة حلب دورا فاعلا في تكوينه الروحي والنفسي، فقد عاش طفولته في أحد الأحياء الشعبية في مدينة حلب، وأتمّ دراسته الابتدائية فيها. وكان يصرف جلّ وقته في الرسم، وهو المحب للعزلة، حتى أنه كان يمضي وقته وحيدا بين أوراقه وألوانه.

وحين اجتاز الإعدادية إلى الثانوية اختار الفرع الأدبي الذي يتوافق مع حبّه للأدب والفن والشعر، وإثر حصوله على شهادة الدراسة الثانوية، انصرف إلى تدريس مادة التربية الفنية في مدارس حلب، ممّا وفّر له المال لشراء الألوان، وراح يتقرّب من الأوساط الفنية والثقافية، فتعرّف إلى طالب يازجي ورولان خوري ووليد إخلاصي الذي كتب عن الفنان "كانت زيارته هي الأولى لي، وكانت عدّة الحديث لوحات صغيرة مرسومة على الورق المقوى والبورسلين، أذكر أنّني سألته: لماذا ترسم؟ فلم يجبني، وظل مدّة يتأمّل ألوانه الصارخة والبدائية، فأعدت السؤال عليه، فأجاب: لا أستطيع إلاّ أن أرسم".

وكان مغاربة أعدّ رسوم كتاب "تاريخ الطب عند العرب" الصادر في باريس، كما ساهم في الرسوم التوضيحية العلمية لمجلتين كانتا تصدران في لندن، وتناولت أعماله الكثير من الصحف في سوريا ولبنان والخليج العربي وأوروبا.

كما كتب عن تجربته الفنية العديد من النقاد، كان آخرها كتاب "وحيد مغاربة مسيرة الإبداع بين التأصيل والتحديث" الصادر عن الهيئة العامة السورية للكتاب للباحث طاهر البني ضمن سلسلة مسارات فنية، وقد صدر الكتاب قبل رحيل مغاربة بأشهر قليلة، وفيه رصد لمسيرة الفنان والمعارض التي أقامها في سوريا وخارجها وصداها في وسائل الإعلام.

ويؤكّد الباحث في كتابه أن نتاج مغاربة يعكس تأثير البيئة في حياته وحبه للعزلة التي رافقته طوال حياته في حلب وروما، والتي هيّأت له فرصة وافية للتأمّل والتفكير في ما يرسم ورصده للبيئة والحياة من حوله ليحوّلها إلى موضوعات تزخر بها رسومه.

وضمّ البني إلى كتابه مقتبسات من أقوال الفنان نفسه وشهادات لآخرين عنه، كما عرض المؤثرات الفكرية والفنية في لوحات مغاربة من تأثّر بالمناخات الشعبية وحركة الناس فيها وملامح العمارة بما فيها من أصالة وحداثة، والأسواق ذات الطابع الشرقي وصور المنمنمات العربية والإسلامية ودورها في الناحيتين التكوينية والتلوينية في لوحاته وغيرها من المؤثرات الحياتية والاجتماعية والثقافية.

كما عرض الكتاب المراحل التي مرّ بها مغاربة، ومنها وجوده في إيطاليا، موردا أقوال النقاد الغربيين في أعماله ومرحلة ما بعد عودته إلى حلب وتجربته في التصوير التجريدي، ثم عودته إلى المنمنمات وتمجيد الفنان للحياة والعمل واحتفائه بالمرأة في مناخاتها الشرقية ضمن علاقات محببة مع الطيور والأزهار والخيول.

كما قام المؤلف بدراسة بعض لوحات مغاربة دراسة نقدية تحليلية موضوعية، مظهرا جمالها ومكوّناتها كلوحات من وحي الأسطورة وقصر الحريم والأمل والشقيقتين وغيرها.

> الفنان الراحل استمدّ موضوعات لوحاته من الأسواق الشعبية وملامح المرأة الشامية وتراث مصوّري المنمنمات

لوحات تسرد حركة الناس في البيئة الشامية